وزارة التّعليم
جامعة المرقب
كليّة علوم الشّريعة

المجلّة العلميّة لعلوم الشّريعة

مجلّة علميّة دوريّة محكّمة نصف سنويّة

العدد الرّابع

جمادى الأولى/ 1442 – 12/ 2020م

المجلّة العلميّة لعلوم الشّريعة

مجلّة علميّة محكّمة دوريّة نصف سنويّة

تصدر عن كليّة علوم الشّريعة بجامعة المرقب. مدينة الخمس. دولة ليبيا

هيئة التّحرير:

أ. عصام الصّديق يعقوب

أ. حمزة امحمّد ارفيّدة

م. طارق عليّ الحوّات

الهيئة الاستشاريّة:

أ.د. إبراهيم عبد الله سلطان

د. محمّد عبد الحفيظ اعليجة

د. امحمّد فرج الزّائدي

د. عليّ محمّد افريو

د. خليفة فرج الجرّاي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أوّلاً: رؤية المجلّة واهتماماتها:

تعنى المجلّة العلميّة لعلوم الشّريعة بنشر البحوث والدّراسات العلميّة المحكّمة في مجالات علوم الشّريعة باللّغة العربيّة. وتحرص هيئة التّحرير -من خلال إجراءات النّشر- على تحقّق شروط البحث العلميّ في الأعمال المنشورة، وذلك من حيث: وضوح مشكلة البحث وفكرته، والأصالة، والموضوعيّة، وغير ذلك من مقوّمات البحث العلميّ. كما تحرص هيئة التّحرير على الرّقيّ بالخطاب المعرفيّ والدّعويّ لمواكبة التّحديات المعاصرة، وفق الضّوابط الشّرعيّة والعلميّة.

ويدخل في نطاق اهتمامات المجلّةِ البحوثُ العلميّة في مجال اللّغة العربيّة ذاتُ الصّلة المباشرة بعلوم الشّريعة، كالتي تتعلّق بالقراءات، وكذلك بحوثُ التّربية الإسلاميّة، والدّراساتُ المقارنة بين الشّريعة والقانون، ونحو ذلك. ويشترط في هذا كلّه أن يكون الجانب الشّرعيّ هو الغالب على البحث.

كما تفسح المجلّة المجال لنشر التّعليقات النّاقدة للكتب الصّادرة حديثاً في مجال علوم الشّريعة والفكر الإسلاميّ، وبخاصّة الكتب العالميّة الحديثة والمهمّة.

كما ترحّب المجلّة أيضاً بنشر التّقارير عن المؤتمرات والنّدوات العلميّة في مجال اختصاصها؛ لبيان أهداف المؤتمر -أو النّدوة- ومحاوره، وملخّصاتٍ وجيزة لأهمّ الأوراق العلميّة المقدَّمة خلاله، وأهمّ التوصيات، مع ضرورة ذكر عنوان المؤتمر ومكانه وتاريخه.

ثانياً: شروط النّشر في المجلّة:

- **الشّروط المنهجيّة لكتابة البحوث:**

1. أن يكون البحث أصيلاً في أفكاره وموضوعه، متضمّنا مشكلة واضحة تدخل ضمن تخصّص المجلّة.
2. ألّا يزيد البحث على أربعين (40) صفحة، بما في ذلك المقدّمة وثبت المصادر، مع مراعاة خصوصيّة بعض المواضيع، كما لو كان البحث تحقيقاً لمخطوط أو نحو ذلك.
3. أن يُسبَق البحث بملخّصٍ، يوضّح فيه الباحث المشكلة البحثيّة، وأهميّة البحث، ويذكر فيه الكلمات الدّلاليّة الّتي تعين الباحثين على الاستفادة من بحثه فيما بعد. ويُشترَط ألّا يتجاوز الملخّص -بما في ذلك الكلمات الدّلاليّة- خمسمائة (500) كلمة.
4. إذا كانت الورقة المقدّمة للنّشر تعليقاً على كتاب أو تقريراً عن مؤتمر أو ندوة- فإنّه يُشترَط ألّا يزيد عدد صفحاتها على خمس (5) صفحات.

5. التزام المنهج العلميّ المتعارَف عليه في كتابة البحوث العلميّة.
6. سلامة اللّغة، ووضوح الأفكار وترابطها وتسلسلها تسلسلاً منطقيّاً.
7. أن تُثبَت في آخر البحث (في صفحة مستقلّة) قائمةٌ بالمصادر والمراجع، مرتبةً ترتيباً هجائيّاً بحسب اسم المصدر أو المرجع (من الألف إلى الياء)، مشتملة على معلومات النشر، ويُستَغنى بذكر معلومات النّشر في ثبت المصادر عن ذكرها في الهامش. وفي حال كون القرآن الكريم أحدَ مراجع الباحث فإنّه يُذكَرُ أوّلاً، مع بيان الرّواية الملتزَمة.
8. في تخريج الأحاديث تُتَّبع الطريقة المعروفة من ذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، مع ذكر الجزء ورقم الصّفحة.
9. ألّا يكون البحث قد سبق نشره في مجلّة أخرى، أو ضمنَ أعمال مؤتمر، أو نحو ذلك.
10. لا تمانع المجلّة في نشر بحث مستلّ من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه للباحث نفسه إذا استوفى شروط النّشر، شرط أن يرفق صورة من قرار لجنة المناقشة. ولا يُستفاد من نشر البحث المستلّ من رسالة الباحث أو أطروحته في التّرقيات العلميّة، وإنّما يُنشَر تعميماً للفائدة، ويُشار -حال نشر البحث- لهذا في الصّفحة الأولى من البحث عند نشره في المجلّة.

- **شروط الإخراج الفنّيّ للبحث:**

1. أن يكون البحث مطبوعاً بالحاسوب على برنامج (Microsoft Word)، بحجم ورق (A4)، بخطّ (Traditional Arabic) أو (Sakkal Majalla)، بحجم (16) للمتن، و(16–Bold) للعناوين الفرعيّة، و(17–Bold) للعناوين الرّئيسة، و(14) للتّعليقات في الهوامش. ويُشترَطُ إرفاق نسخة على صيغة (PDF)، وفي حال استعمال خطوط أخرى -كما في رسم المصحف ونحو ذلك- فإنّه يُشترَط إرفاق الخطوط أو رابط لتحميلها.
2. أن تكون هوامش البحث كالتالي: اليمين (2.5 سم)، واليسار (2.5 سم)، والأعلى (3 سم)، والأسفل (2.5 سم).
3. أن يكون تباعد الأسطر مفرداً، ومحاذاة الفقرات على خانة (ضبط كليّ)، وتباعد الفقرات (0) قبل الفقرة وبعدها، إلّا العناوين الفرعيّة: قبلها (6) وبعدها (0)، والعناوين الرّئيسة: قبلها (18) وبعدها (6).
4. أن يكون ترقيم الصفحات أسفل الصفحة في المنتصف، ولا يُدرج على صفحة الغلاف.
5. تتضمّن صفحة الغلاف عنوان البحث، واسمَ الباحث، ودرجتَه العلميّة، والجامعة والكلّيّة الّتي يعمل بها. ويُعادُ عنوان البحث فقط أعلى الصّفحة الأولى من الملخّص ومن البحث.

ثالثاً: آليّة استقبال الأعمال العلميّة وتقويمها:

1. تُستقبَل الأعمال العلميّة على البريد الإلكتروني للمجلة: (shareaa_j@elmergib.edu.ly) فقط، وليست هيئة التّحرير بالمجلّة مسؤولة عن استقبال البحوث الّتي ترد من أي طريق آخر.
2. تلتزم هيئة التّحرير المعايير الأخلاقيّة في كافّة إجراءات النّشر، ومن ذلك ما يتعلّق ببيانات الباحثين (أرقام الهواتف، والبريد الإكتروني، ....)، حيث تتعهّد ألّا تستعمل هذه البيانات ونحوها في غير إجراءات النّشر.
3. تُعرَض ملخّصات البحوث الواردة على الهيئة الاستشاريّة للمجلّة خلال اجتماعاتها الدّوريّة، ويكون العرض سرّيّاً (دون عرض اسم الباحث)، ويُعتبَر رأي أغلبيّة الأعضاء لقبول الملخّصات أو رفضها، شرط ألّا يكون المجتمعون أقلّ من ثلاثة أعضاء، وفي حال تساوي العدد قبولاً ورفضاً فإنّ الملخّص يُعدُّ مقبولاً. وفي حال كون البحث مقدّماً من أحد أعضاء الهيئة الاستشاريّة فإنّه يُعرَض بنفس الآليّة، إلّا أنّه لا اعتبار لرأي العضو الباحث في ملخّص بحثه.
4. تخضع كلّ البحوث والأعمال الّتي تُقبَل ملخّصاتها لتقويم علميّ سريّ من قبل محكَّمٍ متخصّص في مجال البحث، ويكون المحكّم أعلى درجة علميّة من الباحث، أو مثله على الأقلّ، ولا يقلّ عن درجة محاضر.
5. يُعدُّ مرفوضاً كلُّ عمل يثبت لدى هيئة التّحرير أنّه مسروق، شرط أن يثبت ذلك بشكل واضح لا لبس فيه، إمّا عن طريق برامج التّحقّق الإلكترونيّة، أو بمقابلته بالعمل الّتي يُظنّ أنّه سُرق منه. ويسري هذا في كلّ عملٍ تثبتُ سرقته، سواءٌ كان ذلك قبل عرض الملخّص أو بعده، وسواءٌ كان قبل تقويم البحث أو بعده، مهما كانت نتيجة التّقويم.
6. يكون التّقويم وفق النّموذج المعدّ من هيئة التّحرير بالمجلّة، ويَعتمد التّقويم على عدّة معايير، أبرزها: أهمّية الموضوع وأصالتُه، ووضوح المشكلة البحثيّة، وصياغة العنوان، والتزام المنهج العلميّ، وتسلسل الأفكار وترابطُها، وأهميّة النّتائج والتّوصيات ودقّتُها، وأصالة المراجع وتنوُّعُها، وسلامةُ اللّغة وجودةُ الأسلوب. ويعتمد قرار النّشر على توصية المحكّم.
7. يُعلَم الباحث بنتيجة التّقويم عبر البريد الإلكتروني في مدّة أقصاها شهران من تاريخ استلام بحثه، ويُستثنى من ذلك الظّروف القاهرة العامّة الّتي قد تتسبّب في تأخّر إجراءات التّقويم.
8. في حال ما لو كانت نتيجة التّقويم سلبيّة فإنّ للباحث الحقّ في الاطّلاع على تقرير المحكّم دون اسمه وتوقيعه، كما أنّ له الحقّ في الطّعن في نتيجة التّقويم، على أن يتحمّل رسوم الطّعن الّتي تقرّرها هيئة التّحرير وفق التّكلفة الماليّة لإعادة التّقويم؛ وذلك أنّه في حال الطّعن فإنّ البحث

يُحال لمحكّمين اثنين وفق الشّروط السّابقة، غيرِ المحكّم الأوّل، ويُعدّ البحث مقبولاً للنّشر لو كانت نتيجة إعادة التّقويم إيجابيّة في تقرير المحكّمين كليهما.

9. يُعلَم الباحث بالتّعديلات المطلوبة -إن وجدت- كتابيّاً، ويلتزم إجراءها في مدة لا تزيد عن شهر من تاريخ إبلاغه بها. وفي حال ما لو أعاد الباحث إرسال البحث دون إجراء التّعديلات المطلوبة فإنّ لهيئة التّحرير عدمُ نشر البحث دون إعلام الباحث بذلك.
10. باب قبول البحوث للنّشر في المجلّة مفتوح طيلة أشهر العام، والأصل أنّ البحوث الّتي ترد إلى هيئة التّحرير خلال الفترة من أوّل ربيع الآخر إلى آخر رمضان- تُنشَر في عدد شهر المحرّم، والبحوث الّتي ترد في الفترة من أوّل شوّال إلى آخر ربيع الأوّل- تُنشَر في عدد شهر رجب، إلّا أنّه في حال ما لو كانت الإجراءات المذكورة أعلاه تستلزم تأخير نشر بحث ما؛ فإنّ لهيئة التّحرير الحقّ في تأخير نشره إلى العدد التّالي للعدد الّذي كان مراداً أن يُنشر البحثُ فيه، وليست ملزّمةً بإعلام الباحث مسبقاً.

رابعاً: اعتبارات عامّة:

1. البحوث الواردة إلى المجلة لا تُرَدُّ إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
2. يحقّ لهيئة التّحرير إجراء التّعديلات الطّفيفة الّتي يقرّرها المحكّم دون الرّجوع إلى الباحث، شرط ألّا تكون هذه التّعديلات مؤثّرة في صلب الموضوع وأهدافه الرّئيسة.
3. يحقّ لهيئة التّحرير إجراء التّصويبات اللّغويّة، وتنسيقُ البحوث من حيث الطّباعة ونحوها بما يلائم الإخراج الفنيّ للمجلّة، دون الرّجوع إلى الباحث في شيء من هذا.
4. لا تعبّر الآراء الواردة في البحوث والدّراسات المنشورة في المجلّة بالضّرورة عن رأي هيئة التّحرير، وإنّما تعبّر عن آراء كاتبيها، وتقع عليهم وحدهم مسؤوليّة ما تتضمّنه من وجهات نظر ومدى صحّة ما يرد فيها من معلومات أو بيانات.
5. يتمّ ترتيب البحوث المنشورة وفقاً لاعتبارات الإخراج الفنيّ للمجلّة، ولا يعكس ترتيب البحوث قيمتها العلميّة أو مستوى الباحثين.
6. يزوّد الباحث بثلاث نسخ من عدد المجلّة المنشور بحثه به فيما لو تمّ نشر العدد ورقيّاً.

خامساً: هيئة التّحرير والهيئة الاستشاريّة:

1. تتألّف هيئة التّحرير بالمجلّة من ثلاثة أعضاء على الأقلّ: رئيس التّحرير، ومدير التّحرير، وسكرتير التّحرير.
2. تتولّى هيئة التّحرير استقبال البحوث، وتنسيق اجتماعات الهيئة الاستشاريّة، وعرضَ الملخّصات

عليها، والتّواصلَ مع المحكّمين والباحثين في كلّ ما يتعلّق بتقويم الأعمال المقدّمة للنّشر وتعديلها، وغير ذلك من إجراءات النّشر بالمجلّة.

3. ليس من اختصاص هيئة التّحرير تقويمُ البحوث ولا ملخّصاتِها، وإنّما ينحصر عملها في الإجراءات الإداريّة المتعلّقة بالنّشر، والمراجعةِ اللّغويّة، وتنسيقِ الطّباعة، ونحوِ ذلك، في الإطار المتعارَف عليه في هذا المجال. ولا يَمنع هذا الاستعانةَ ببعض أعضائها في تقويم الأعمال المقدّمة للنّشر، شرط تحقّق سريّة التّقويم واستيفاءِ المحكّم لكافّة الشّروط المقرّرة.
4. لا يحقّ لأعضاء هيئة التّحرير نشر نتاجهم العلميّ في المجلّة، إلّا أن يكون نشره من باب تعميم الفائدة، ولا يُستفاد منه في التّرقيات العلميّة والوظيفيّة.
5. تتألّف الهيئة الاستشاريّة من خمسة أعضاء على الأقلّ، يُراعى في اختيارهم تنوّع التّخصّصات، ولا تقلّ درجة عضو الهيئة الاستشاريّة عن (أستاذ مساعد).
6. تجتمع هيئة التّحرير والهيئة الاستشاريّة اجتماعاً شهريّاً واحداً على الأقلّ (ويمكن الاكتفاء بالاجتماعات الإكترونيّة المباشرة عبر الإنترنت، أو تداول الأعمال عبر غرف وسائل التّواصل الإلكتروني)، ويتمّ خلاله عرض ملخّصات البحوث الواردة، ومناقشةُ أيّ مستجدّات أو اقتراحات من شأنها تنظيم العمل بالمجلّة والرّقيّ بمستواها.

والحمد لله أوّلاً وآخراً

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين

تنوّع الألفاظ ودلالاتها في قصّة موسى وفرعون .. سورتا الأعراف والشّعراء أنموذجا

د. محمّد حسين الشّريف
كليّة علوم الشّريعة / جامعة المرقب

مقدّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فيقول الله ﷻ في محكم كتابه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1].

إنها دعوة من الله ﷻ إلى عباده بأن يتأملوا ويتدبروا معاني هذا الكتاب الذي أكرمهم به، وتفضّل عليهم به. أنزله الله ﷻ على نبيه ﷺ بلسان عربي مبين؛ ليسهل فهمه، ويتيسر ذكره، قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾[2]، فهو كتاب معجز في نظمه، سهل في أسلوبه، واسع في دلالاته، بليغ في عباراته، عجيب في تصويراته، المتأمّلُ في كلماته وأسلوبه لا يجد فيها شيئا خارجا عن المألوف المتداول في لغة العرب، فالجملة القرآنية لها كيانها الخاص المستقل تركيبا ورسما ونظما.

وعلى كثرة ما كتب العلماء وألفوا، وعلى كثرة ما تحويه المكتبة الإسلامية من أسفار ضخمة، وكتب نفيسة خدم بها العلماء كتاب الله الجليل- يبقى القرآن زاخرا بالعجائب والغرائب، والكنوز والمعارف. ولعل من أبرز العجائب في القرآن إيرادهُ القصَص، وتَعدُّد ورود ذكرها، وقد شدَّ انتباهي تعدد ورود قصة موسى مع فرعون، الأمر الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع للوقوف على معاني الآيات التي تضمنت تلك القصة في بحث عنونته بـ(تنوُّع الألفاظ ودلالاتها في قصّة موسى وفرعون سورتا الأعراف والشعراء أنموذجا)، وقد جاء في مقدّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

1. سورة ص، الآية 29.
2. سورة القمر، الآية 17.

تمهيد

إن من مزايا الجملة القرآنية مكانتها المناسبة بين نظيراتها من الجمل؛ حيث التناسق الرائع بين الألفاظ في الجملة الواحدة، وتعدد ورود الألفاظ في القصة الواحدة، ولعل من أكثر القصص التي تعدد ذكرها في القرآن الكريم قصة نبي الله موسى ﷺ مع عدوِّه فرعون، حيث ورد ذكر هذه القصة في أكثر من عشرين سورة، وقد ورد ذكر فرعون في القرآن في أربعة وسبعين (74) موضعا[1]، بينما ذُكر موسى ﷺ في مائة وستة وثلاثين (136) موضعا[2]. ومما يدعو إلى التعجب مع كثرة هذا التعدد هو: توافق الألفاظ، وتنوع المشاهد والصور في القصة، ومن المعلوم أن التصوير هو أسلوب من أساليب القرآن، فهو يعبر عن الصورة المتخيلة للمعنى الذهني، والحالة النفسية، والمشهد المرسوم، والطبيعة البشرية، ولا يقتصر على ذلك فقط، بل يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحركة والحياة، فإذا المعنى الذهني هيئة وحركة، وإذا الكائن الإنساني شاخص حي، وإذا الحوادث شاهدة حاضرة، فإذا أضيف إليها الحوار استكملت كل عناصرها المتخيلة.

ولعل أقرب ما يُوقِفُنا على حقيقة ما ذكرنا هي قصة نبي الله موسى ﷺ مع عدوِّه فرعون، حيث تعدد ورود هذه القصة بألفاظ متشابهة، وأساليب متباينة في كل السور القرآنية التي ذكرت فيها، إلا أنها تشابهت ألفاظها وأحداثها في سورتين من القرآن اختصتا بذلك، هما: سورة الأعراف، وسورة الشعراء، ولعل من أسباب اختيارنا لهاتين السورتين بالذات وجود التشابه الكبير بينهما عند إيرادهما لقصة موسى ﷺ، ومما يدعو إلى التعجب أيضا أن سورة الشعراء أقصر من سورة الأعراف من حيث عدد الصفحات وعدد الأثمان، إلا أن القصة جاءت أكثر تفصيلا فيها. ومن خصائص هاتين السورتين:

أ. أنهما مكيتان.

ب. عدد الآيات في سورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون (227) آية، وهي تمثل المرتبة الثانية بعد سورة البقرة من حيث عدد الآيات. وقد ورد فيها ذكر فرعون ست (6) مرات[3]، بينما ورد ذكر موسى ﷺ فيها ثماني (8) مرات[4].

ج. عدد الآيات في سورة الأعراف مائتان وست (206) آية، وهي تأخذ الترتيب الثالث في عدد الآيات بعد سورتي البقرة والشعراء، وتمثل المرتبة الثانية من الطول بعد سورة البقرة، وقد ورد فيها ذكر فرعون تسع (9)

1. ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص515، 516.
2. ينظر: المصدر نفسه، ص680 - 682.
3. ينظر: المصدر نفسه، ص515، 516.
4. ينظر: المصدر نفسه، ص682.

مرات، وورد فيها ذكر موسى ﷺ إحدى وعشرين (21) مرة. وعلى الرغم من ذلك فقد جاءت القصة أكثر تفصيلا في سورة الشعراء.

ولكي نقف على أحداث القصة في هاتين السورتين نورد الآيات القرآنية في كل منهما، ونعقد مقارنة تفسيرية بين تلك الآيات حتى نكون على بينة مما احتوت عليه من المعاني. لكننا قبل إيرادنا تلك الآيات نشير إشارة سريعة إلى بعض السور التي وردت فيها هذه القصة؛ ليتضح لنا التشابه النوْعي للآيات، والاختلاف التَّنوُّعِي للأحداث:

ففي سورة يونس ﷺ -مثلا- نلاحظ أن مشهد المواجهة جاء مختصراً لم يرد فيه ذكر المعجزات (العصا واليد البيضاء)، ومشهدَ المباراة بين موسى والسحرة كذلك جاء مختصراً.

وفي سورة (طه) نلاحظ توسُّعاً في موضوع المناجاة بين موسى وربه، واستطراداً في موضوع المواجهة وموضوعِ الإغراق والنجاة.

أما في سورة غافر فلم يرد ذكر موضوع المواجهة والإغراق والنجاة.

لكن في سورتي الأعراف والشعراء فصّل الأحداث تفصيلاً واضحا مع تشابه الألفاظ، واستقلال المعاني، وصوّر المشاهد تصويراً فنيّاً بديعاً. وفيما يلي عرض للنّصين، ودراسةٌ مقارنة بينهما.

المبحث الأول: عرض النّص القرآنيّ من السّورتين الكريمتين

أوّلاً- النّصّ من سورة الأعراف:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾. [الأعراف: 103 - 126].

ثانياً- النّصّ من سورة الشعراء:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم

مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾. [الشّعراء: 10 - 51].

نلاحظ أن القصة بدأت في سورة الأعراف من قوله -تعالى-:﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. السياق يعرض القصة من بداية مواجهة فرعون ومَلَئِه بالرسالة، ثم يكشف عن حقيقة استقبالهم لها، ثم يذكر العاقبة التي انتهوا إليها؛ لقد ظلموا بهذه الآيات، أي: طغوا بسببها[1]، أو كفروا بها[2].

ونلاحظ في التعبير القرآني أنه يكثر من ذكر كلمة (الظلم)[3] وكلمة (الفسق) في موضع كلمة (الكفر) أو كلمة (الشرك)، وهذه من تلك المواضع؛ ذلك أن الشرك -أو الكفر- هو أقبح الظلم، كما أنه أشنع الفسق. وقد ذكر الإمام الرازي أن الظلم ثلاثة: ظلم لا يُغفر، وظلم لا يُترك، وظلم عسى الله أن يتركه. فالظلم الذي لا يُغفر هو

1. ينظر: البحر المديد، ابن عجيبة (2/ 522).
2. ينظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون (1/ 946).
3. فقد تعدد ورود هذا اللفظ بمختلف اشتقاقاته (302) مرة. ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص434 - 439.

الشرك بالله، والظلم الذي لا يُترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا، والظلم الذي عسى الله أن يتركه هو ظلم الإنسان نفسه؛ فمنشأ الظلم الذي لا يغفر هو الهوى، ومنشأ الظلم الذي لا يترك هو الغضب، ومنشأ الظلم الذي عسى الله أن يتركه هو الشهوة.[1]

والذين يكفرون -أو يشركون- يظلمون الحقيقة الكبرى: حقيقة الألوهية وحقيقة التوحيد، ويظلمون أنفسهم بإيرادها موارد التهلكة في الدنيا والآخرة، ويظلمون الناس بإخراجهم من العبودية لله الواحد إلى العبودية للطواغيت المتعددة والأرباب المتفرقة، وليس بعد ذلك ظلم. ومن ثم فالكفر هو الظلم، ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2]. نلاحظ في السياق القرآني في قوله -تعالى-: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾؛ نلاحظ أن موسى عليه السلام حين خاطب فرعون قال له: (يا فرعون)، وهو خطاب إكرام وأدب واحترام؛ فقد ناداه بالاسم الدالّ على الملك والسلطان -وإن كان يدل على التجبر والطغيان- بحسب ما هو معروف، فالخطاب ليس خطاب ترفع عليه، ولا هو خطاب خضوع له؛ لأن الله -تعالى- قال له ولهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[3]، وهذا منهج الأنبياء -عليهم السلام-، وهو منهج انتهجه نبينا محمد ﷺ حين خاطب ملوك الدنيا في زمنه من الأكاسرة والقياصرة والزعماء.[4]

ناداه بلقبه في أدب واعتزاز، ناداه ليقرر له حقيقة أمره، كما يقرر له أضخم حقائق الوجود، فخاطبه بقوله: ﴿يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾! يقع هذا الخطاب على فرعون كالصدمة، ويفعل فعله في نفس فرعون ومن حوله، ثم يتبع هذا الخبر بخبر آخر يؤكده ويوثقه بقوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، يسد به على فرعون منافذ القول بالتكذيب أو الاتهام.

ذكر الشيخ ابن عاشور: أن مسوغ حكاية كلام موسى عليه السلام بصيغة التأكيد بحرف (إنّ) أنّ المخاطَب مظنة

1. ينظر: التفسير الكبير، الرازي (1/ 214).
2. سورة البقرة، من الآية 254.
3. ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (9/ 37).
4. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، ص138.

الإنكار أو التردد القوي في صحة الخبر. واختيار صفة (ربّ العالمين) في الإعلام بالمرسِل إبطال لاعتقاد فرعون أنه رب مصر وأهلها، فإنه قال لهم: (أنا ربّكم الأعلى). فلما وصف موسى مُرْسِلَه بأنه رب العالمين شمل فرعونَ وأهل مملكته، فتبطل دعوى فرعون أنه إله مصر بطريق اللزوم، ودخل في ذلك جميع البلاد والعباد الذين لم يكن فرعون يدّعي أنه إلههم[1]. وباسم تلك الحقيقة الكبيرة، حقيقة الربوبية الشاملة للعالمين؛ طلب موسى من فرعون أن يطلق معه بني إسرائيل: ﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ... ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

ذكر الشيخ ابن عاشور أن الفاء في قوله: ﴿فَأَرۡسِلۡ﴾ لتفريع طلب تسريح بني إسرائيل على تحقق الرسالة عن رب العالمين، والاستعدادِ لإظهار البينة على ذلك، وقد بنى موسى كلامه على ما يثق به مِن صِدْق دعوته مع الاستعداد للتبيين على ذلك الصدق بالبراهين أو المعجزة إن طلبها فرعون؛ لأن شأن الرسل أن لا يبتدئوا بإظهار المعجزات صوناً لمقام الرسالة عن تعريضه للتكذيب[2].

ومما يلفت الانتباه في المنهج الذي انتهجه نبي الله موسى عليه السلام في المحاجة أنه سلك مسلك الهدم لمقولات الخصم ابتداءً، أكثر مما سلك مسلك البناء لإثبات العقيدة الصحيحة، وهو أمر يدل على الحكمة والتبصر بمقتضيات الدعوة، ومراعاةِ واقع المخاطبين بها. وهذا المنهج هو منهج الأنبياء -عليهم السلام-، مثل مجادلة خليل الله إبراهيم عليه السلام للنمرود، وهو أيضا منهج انتهجه نبينا محمد ﷺ في دعوة أهل الجاهلية إلى الإسلام، حيث كان يعمل أولا على تشكيك الخصوم في مسلماتهم التي تشكل عقيدتهم، حتى إذا ما تخلخلت تلك المسلمات في أذهانهم، وآلت إلى السقوط- عرض عليهم العقيدة الصحيحة؛ فواجهوها بالقبول والتسليم.

لكن فرعون كان من نوع آخر، فهذا الخصم لم تغب عليه ولا على ملئه دلالة هذا الإعلان الذي جاء به موسى، وهو إعلان الربوبية لله رب للعالمين. لم يغب عنهم أن هذا الإعلان إشارة إلى زوال ملك فرعون، وقلبِ نظام حكمه، وإنكار شرعيته، وكشف عدوانه وطغيانه، فما كان منهم إلا أن يُظهروا موسى بمظهر الكاذب الذي يزعم أنه رسول من رب العالمين بلا بينة ولا دليل[3]. فقالَ له فرعون: ﴿إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ طلب منه ذلك لأنه تصور أن هذا الداعي إلى ربوبية رب العالمين كاذب في دعواه، وأنه لو أظهر زيف دعوة موسى لسقطت دعوته، وهان أمره، ولم يعد لهذه الدعوة الخطيرة من خطر.

قال الشيخ ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿فَأۡتِ بِهَآ﴾: «استعمل الإتيان في الإظهار مجازاً مرسلاً، فالباء في قوله:

1. التحرير والتنوير (9/ 38).
2. التحرير والتنوير (9/ 38).
3. التحرير والتنوير (9/ 37).

(بها) لتعدية فعل الإتيان، وبذلك يتضح ارتباط الجزاء بالشرط؛ لأن الإتيان بالآية المذكورة في الجزاء هو غير المجيء بالآية المذكورة في الشرط، أي: إن كنت جئت متمكناً من إظهار الآية فأظهر هذه الآية»[1]. وربما الذي حمل فرعون على قول هذا القول أنه لم ير مع موسى أي شيء يدل على صدق دعواه؛ فبادره بالتكذيب ليسد عليه منافذ دعواه.

فأجابه موسى عليه السلام بأن ألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هي بيضاء للنّاظرين! إنها المفاجأة، إن العصا تنقلب ثعبانا مبينا لا شك فيه، وورد في سورة أخرى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾[2]. والإلقاء: الرمي على الأرض أو في الماء أو نحو ذلك، أي: فرمى عصاه من يده. و(إذا) للمفاجأة، وهي حدوث الحادث عن غير ترقب[3]. ثم إن يده تخرج من جيبه بيضاء من غير سوء.

لقد كان فرعون ينتظر من موسى شيئا من الحوار والجدل، والأخذ والردّ فيما سيعرضه عليه من معجزات، كأن يستحضرها أولا، ويتخير لها الزمان والمكان ثانيا، فما كان مع موسى شيء يتوقع أن تخرج منه معجزة، وإلا فأين أدوات هذه المعجزة؟ وأين أجهزتها ومعداتها والأيدى التي تعمل فيها؟ ولكن هكذا كان تدبير الله ﷻ، وهكذا تقع المعجزة، وتكون المفاجأة: لقد ألقى موسى بكل ما معه دفعة واحدة، حتى يضرب فرعونَ الضربة القاضية، التي لا تدع له فرصة يلتقط فيها أنفاسه. وواحدة من هاتين الضربتين تكفى لكي يستسلم لها كل جبار عنيد، ولكن فرعون كان أكثر من جبار عنيد.

بعد هذا المشاهدة العظيمة التي ساقها السياق القرآني نلاحظ أن القرآن هنا لم يأت على ذكر ما وقع في نفس فرعون من فزع وذعر، بل ترك ذلك لتصورات الناس، يأخذ كل إنسان فيها ما يقدر عليه الخيال من الصور المرعبة المفزعة لهذا الهول الذي وقع، ولعل هذا كاف في تصوير أحداث سورة الأعراف.

ننتقل إلى سورة الشعراء فنورد ما ذكره الدكتور فاضل السامرائي من أن القصة بدأت بالأحداث السابقة لذلك، فقد بدأت بأمر الرب لموسى أن يذهب إلى فرعون ليبلغه دعوة ربه وليرسل معه بني إسرائيل، فأظهر موسى خوفه من أن يكذّبه وأن لا ينطلق لسانه، وذكر أن لهم عليه ذنباً خاف أن يقتلوه به، وطلب العون بأخيه هارون. فاستجاب الله لطلبه وشد عضده بأخيه، وطمأنه بأنه معهما. ثم ذكر المحاورة بينه وبين فرعون، وقد ذكر فرعون منّته عليه بتربيته في بلاطه، وأنه فعل ما فعل من قتل المصري والهرب، فأقرّ بذلك موسى وذكر من أمر فراره منهم ما ذكر، ثم ذكر المحاجّة بينهم في أمر الألوهية والربوبية. حيث سأل فرعونُ موسى قائلا:

1. التحرير والتنوير (9/ 40).
2. سورة طه، من الآية 19.
3. التحرير والتنوير (9/ 40).

﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فأجابه موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾. وهو جواب يكافىء ذلك التجاهل ويغطيه؛ إنه رب هذا الكون الهائل الذي لا يبلغ إليه سلطانك، فلا يرد عليه فرعون بالحجة، ولكن حاول أن يُؤلّب عليه من حوله ليسخروا منه، وهو دأب العاجزين المفلسين: ﴿قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ﴾، يمضي موسى قائلاً: ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾. فيضيق فرعون بموسى ويرميه بالجنون قائلاً: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾، فيمضي موسى يعرض دعوته من دون أن يلتفت إلى ما رماه به من الجنون، فقد أدرك موسى أن فرعون حاول أن يصرفه عن الكلام في العقيدة إلى الانتصار لنفسه، ففوّت الفرصة عليه ومضى فيما هو فيه، فقال منبها لعقولهم: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، فما مُلْكُكَ من هذا؟![1] والمشرق والمغرب مشهدان معروضان للأنظار كل يوم.

إنها دعوى إلى الاستماع والتعقل، وإنهم لو كانوا عقلاء حقّا لعرفوا أن لهذا الوجود ربّا، وأنه ربّ المشرق والمغرب، وما بين المشرق والمغرب من كائنات، لكن فرعون يقطع هذا الجدل بقوله: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾! إنه منطق القوة الغاشمة التي لا تحتكم إلى عقل، ولا تخضع لمنطق، إلّا منطق القهر والتسلّط، فانظر كيف ناسب قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ما رماه به من الجنون وعدم العقل.

ولمّا أَعْيَتهُ الحيلةُ وأعوزه المنطق تَوعَّدهُ وتَهدَّده بالسجن قائلاً: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾. ولم يشر إلى هذه المحاجّة في سورة الأعراف؛ لأن القصة بنيت هناك على الاختصار وعدم التفصيل كما ذكرنا، كما أنها ليس فيها مثل هذه القوة في المواجهة.[2]

أورد الزمخشري سؤالا، وهو أنه بذكره السموات والأرض وما بينهما قد استوعب الخلائق كلها، فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكرِ المشرق والمغرب؟ وأجاب بأنه بهذا الذكر يكون قد عمّم أوّلاً، ثم خصّص من العام -للبيان- أنفسَهم وآباءهم؛ لأنه أقرب المنظور، ثم خصّص المشرق والمغرب؛ لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبَها في الآخر، على تقديرٍ مستقيم في فصول السّنة وحسابٍ مستوٍ- من أظهر ما استدل به؛ ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليلُ الله عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمرود بن كنعان، فبهت الذي كفر.[3]

1. ينظر: أسرار البيان في التعبير القرآني (1/ 300).
2. ينظر: المصدر نفسه (1/ 301).
3. ينظر: الكشاف، الزمخشري (3/ 314).

المبحث الثاني: الفروق التعبيرية بين القصة في السورتين

ننظر الفروق التعبيرية بين القصة في السورتين؛ لنتبيّن كيف بنيت كل قصة بحسب السياق الذي وردت فيه:

سورة الأعراف	سورة الشّعراء
﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (قول الملأ)	﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ (قول فرعون)
﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾	﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾
﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾	﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾
﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾	﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾
﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾	﴿قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾
﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾	﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾

بعد أن ذكرنا الفروق بين السورتين نأتي لبيان معنى كل آية ووجه الاختلاف بينها وبين نظيرتها في السورة الأخرى، فنبدأ بقوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (قول الملأ): ذكر الشيخ ابن عاشور أنّ جملة (قال الملأ) جرت على طريقة الفصل؛ لأنها جرت في طريق المحاورة الجارية بين موسى وبين فرعون وملئه، فإنه حوار واحد. فملأ قوم فرعون هم سادتهم، وهم أهل مجلس فرعون ومشورته، وقد كانت دعوة موسى أول الأمر قاصرة على فرعون في مجلسه، فلم يكن بمرأى ومسمع من العامة؛ لأن الله -تعالى- قال في آية أخرى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[1]، وقال في هذه الآية: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾، وإنما أشهرت دعوته في المرة الآتية بعد اجتماع السحرة. وإنما قالوا هذا الكلام على وجه الشورى مع فرعون واستنباط الاعتذار لأنفسهم عن قيام حجة موسى في وجوههم، فاعتلوا لأنفسهم -بعضهم لبعض- بأن موسى إنما هو ساحر عليم بالسحر، أظهر لهم ما لا عهد لهم بمثله، وهذا القول قد أعرب عن رأي جميع أهل مجلس فرعون، ففرعون كان مشاركاً لهم في هذا؛ لأن القرآن حكى عن فرعون في غير هذه السورة أنه: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ

1. سورة طه، الآية 43.

هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾[1]. قال في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، وقال في سورة الشعراء: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

فنلاحظ أن القائلين في آية الأعراف هم ملأ فرعون، في حين أن الذي قال في آية الشعراء هو فرعون نفسه، وذلك أن المحاجّة كانت معه، ففي آية الأعراف كان فرعون في مقام غطرسة الملك والترفع عن الكلام، وأما في آية الشعراء فقد أصابه الضعف أمام موسى، وضعفه أنساه غطرسة الملك وكبرياءه، الأمر الذي دفعه للاستعانة بمَلَئِه.

وزاد كلمة (بسحره) لمناسبة مقام التفصيل في سورة الشعراء، وللتأكيد على السحر فيها، فقال: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾، ألا تستمعون إلى هذا القول العجيب الغريب، الذي لا عهد لنا به، ولا قاله أحد من قبل. وهو التفات[2] من فرعون إلى من حوله من الملأ، يوضح لهم غرابة هذه الدعوة؛ لعلَّهُ يصرف قلوبهم عن التأثر بها، وهي طريقة المتجبرين الضعفاء.

هكذا أدرك فرعون ومَلَؤُه خطورة هذه الدعوة، وهو إدراك يدركه كل طاغية متجبر، لقد فهم فرعون أن دعوة موسى عليه السلام ثورة عليه، وهي نهاية لحكمه المتسلط، كما فهم الرجلُ العربي -بفطرته وسليقته- حين سمع رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله فقال: «هذا الأمر الذي تدعو إليه تكرهه الملوك»[3].

قوله -تعالى-: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ في سورة الأعراف، وقوله -تعالى-: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ في سورة الشعراء؛ في سورة الأعراف تكلّم الملأ وذكروا النتيجة التي ستؤول إليها الأمور من جراء هذه الدعوة، إنه الإخراج من الأرض، إنه زوال الحكم وقلب النظام.

الفروق بين السياقين:

في سورة الأعراف يظهر أن الذي وصف موسى عليه السلام بالسحر هم الملأ من قوم فرعون، وفي سورة الشعراء يظهر أن الذي وصف موسى عليه السلام بالسحر هو فرعون نفسه، وأيضا زيادة كلمة (بسحره) كوسيلة لإخراجهم من الأرض بزعم فرعون.

1. ينظر: التحرير والتنوير (9/ 41).
2. الالتفات: العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم، أو على العكس. ينظر: التعريفات، الجرجاني (1/ 51).
3. ينظر: دلائل النبوة، أبو نعيم الأصفهاني (1/ 250).

نلاحظ في السياق القرآني التهويل الذي جاء به فرعون للملأ حين بين لهم أن موسى عليه السلام ساحر يقوم سحره على علم ومعرفة، وذلك بإحالته العصا إلى ثعبان مبين، وإخراجِ يده على غير صورتها المعتادة، مبينا لهم أن الذي يملك مثل هذه القوة وتلك البراعة لا يعجز عن أن يفعل ما هو أكثر من ذلك، وهو بهذا مصدر خطر عظيم على فرعون، وعلى مكانته في قومه. لقد أدرك فرعون وملؤه خطورة هذا الدعوة، الأمر الذي دفعه إلى موقف يسأل فيه الملأ: ماذا عندهم من قول في موسى؟ ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟

إن فرعون يريد منهم موقفا حاسما، ورأيا قاطعا، وأمرا نافذا في هذا الموقف، الذي لا يحتمل غير المواجهة الحازمة الحاسمة. نلاحظ في قول فرعون لقومه: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ خروجاً على المألوف بينه وبينهم؛ فما اعتادوا أن يسمعوا منه غير كلمة واحدة، هي الأمر منه، والطاعة والتنفيذ منهم.

أمّا هنا فالموقف مختلف؛ فقد هزّته الصدمة، وأذلّت كبرياءه، وهزمت غروره حتى نسي نفسه أنه فرعون الآمر والناهي، إنه الضعف الإنساني الذي يكشف مظاهر العظمة الكاذبة، والاستعلاءِ المصطنع، حين يصطدم بواقع الحياة. قال في سورة الأعراف: ﴿قَالُوٓاْ﴾، وقال في سورة الشعراء: ﴿قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ﴾، فذكر في سورة الشعراء أنهم قالوا لفرعون، ولم يذكر في آية الأعراف أنهم قالوا له، وكل تعبير يتناسب مع السياق الذي ورد فيه؛ وذلك أنه ذكر في سورة الأعراف أن ملأ فرعون هم الذين قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، وذكر في سورة الشعراء أن فرعون هو الذي قال ذلك، وأنه هو الذي تولى هذه المهمة بنفسه، فناسب ذلك أن يواجهوا فرعون بالقول، بخلاف ما في سورة الأعراف.[1]

أشار الدكتور فاضل السامرائي إلى نقطتين من الاختلاف السياقي في هذا المعنى: حيث ذكر أن خبر موسى اهتم به كل المسؤولين في دولة فرعون، ابتداء منه هو شخصيا إلى كل من له حق الشورى أو إبداء الرأي، ولذلك جاء السياق في سورتي الأعراف والشعراء يدل على أن كلمة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ جاءت على لسان فرعون، وأيضا على لسان الملأ من قومه، وهي النقطة الأولى. وأنهم اتفقوا على اتهام موسى بمحاولة إخراج المصريين من أرضهم، لكن فرعون ركز على الوسيلة التي يريد إخراجهم بها وهي السحر، وقد يكون هذا مجرد تأكيد، أو يكون الملأ أطلقوا الوسيلة وفرعون قيدها، وهي النقطة الثانية من نقاط الاختلاف السياقي. والنقطة الثالثة تشير إلى أن طلب إرجاء موسى لجلب السحرة من كل مكان هو اقتراح اتفق عليه الملأ فيما بينهم وأبلغوه إلى فرعون بعد أن طلب إليهم الرأي.[2]

1. ينظر: أسرار البيان في التعبير القرآني (1/ 304).
2. المصدر نفسه (1/ 305).

ومن مظاهر الاختلاف أيضا ما ورد في سورة الأعراف من قوله -تعالى-: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ مع ما ورد في سورة الشعراء من قوله -تعالى-: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾، فما الفرق بين السياقين؟ ولماذا خُصّت سورة الأعراف بلفظ (وَأَرْسِل) وخُصّت سورة الشعراء بلفظ (وَابْعَثْ)؟ ذكر صاحب (ملاك التأويل) أنه مبنى على الترتيب الذي استقر عليه المصحف، وهو: أن (أرسِل) أخصُّ في باب الإرسال من البعث؛ إذ لا يقال أرسل إلا فيما كان توجيها فيه معنى الانتقال حقيقة أو مجازا، أما (ابْعَث) فأوسع؛ فإنه يقع بمعنى الإرسال، وبمعنى الإحياء، ومنه البعث الأخروي، ففيه اشتراك؛ فلما كان الإرسال أخصَّ وقع الإخبار به أولا، ثم وقع ثانيا بالبعث تنويعا للعبارة، وعلى الترتيب في موضع اللفظ المطرد من القرآن، ولا يمكن على ما تقرر من ذلك العكس.[1]

وأشار الدكتور فاضل السامرائي أن ذلك راجع لكثرة تردد فعل الإرسال في سورة الأعراف، فقد تردد فعل الإرسال ومشتقاته فيها ثلاثين مرة، وتردد في سورة الشعراء سبع عشرة مرة، فناسب ذلك ذكر الإرسال في سورة الأعراف دون الشعراء.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن المقام في سورة الشعراء يقتضي ذكر الفعل (ابْعَث) دون (أرْسِل)؛ ذلك أن البعث فيه معنى الإرسال وزيادة، فإن فيه معنى الإثارة والإنهاض والتهييج.[2]

جاء في (لسان العرب) أنّ «البعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما: الإرسال، كقوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ﴾، معناه: أرسلنا. والبعث: إثارة بارك أو قاعد، تقول: بعث البعير فانبعث، حل عقاله فأرسله، أو كان باركاً فهاجه. وفي حديث حذيفة: أن للفتنة بَعَثات.. قوله: (بعثات) أي: إثارات وتهييجات»[3]. وقال الأصفهاني: ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به.[4]

وفي (مقاييس اللغة): الرَّاءُ وَالسِّينُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، يَدُلُّ عَلَى الِانْبِعَاثِ وَالِامْتِدَادِ، فَالرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ. وَنَاقَةٌ رَسْلَةٌ: لَا تُكَلِّفُكَ سِيَاقًا. وَنَاقَةٌ رَسْلَةٌ أَيْضًا: لَيِّنَةُ الْمَفَاصِلِ. وَشَعْرٌ رَسْلٌ، إِذَا كَانَ مُسْتَرْسِلًا.[5]

وفيه: الْبَاءُ وَالْعَيْنُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِثَارَةُ. وَيُقَالُ: بَعَثْتُ النَّاقَةَ: إِذَا أَثَرْتَهَا.[6]

---

1. ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل (1/ 565).
2. ينظر: أسرار البيان في التعبير القرآني (1/ 302).
3. ينظر: لسان العرب، ابن منظور (2/ 116).
4. مفردات ألفاظ القرآن (1/ 100).
5. ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (2/ 392).
6. ينظر: المصدر نفسه (1/ 266).

أشار الدكتور فاضل السامرائي إلى أمرين:

الأمر الاول: الرفق في كلمة (أرسل) والشدة في كلمة (بعث).

الأمر الثاني: في سورة الاعراف قالوا (أرسِل) في طلب كل ساحر، وفي سورة الشعراء قالوا (ابْعَث) في طلب السَّحَّار فقط، و(سحَّار) من صيغ المبالغة، وتدل على احتراف كبير، وبراعة وتخصُّصٍ في مهنه السحر. ولصعوبة الحصول على من هو بهذه المواصفات قالوا (ابْعَث).[1]

والبعث قد لا يكون بإرسال شخص من مكان إلى آخر، بل يكون بإنهاض شخص من المجتمع، وذلك نحو قوله -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[2]، وهذا إنما يكون يوم القيامة، ومعناه: يوم ننهض ونقيم، وليس معناه يوم نرسل. ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3]، ومعناه: أَنهِض للقتال منا أميراً نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره. فأجاب طلبهم قائلاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[4]، ومعناه: أنهضه فيهم، وليس معناه أنه أرسله إليهم. فالبعث قد يكون فيه معنى الإرسال، وقد يكون فيه معنى الإنهاض.

فلمّا كان المقام في سورة الشعراء مقام زيادة تحدٍّ وقوة مواجهة قال الملأ لفرعون: ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾، فلم يكتفوا بالإرسال، بل أرادوا أن يُنهضوا من المجتمع حاشرين علاوة على الرسل، وهؤلاء من مهمتهم الإثارة وتهييج الناس على موسى. وهذا المعنى لا يؤديه لفظ (أرسِلْ). فاقتضى كل مقام اللفظة التي وردت فيه.[5]

الفرق الآخر بين كلمتي (ساحر) و(سحّار)، حيث ورد في سورة الأعراف: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾، وفي سورة الشعراء: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[6].

---

1. ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (1/ 748).
2. سورة النحل، من الآية 84.
3. سورة البقرة، من الآية 246.
4. سورة البقرة، من الآية 247.
5. ينظر: أسرار البيان في التعبير القرآني (1/ 303).
6. ينظر: المصدر نفسه (1/ 303).

من خلال التصوير القرآني للأحداث نلاحظ أنه عندما اشتد التحدي تطلّب المبالغة؛ لذا يحتاج لكلّ سحّار وليس لساحر عادي فقط، ونلاحظ في القرآن كله حيثما جاء فعل (أرسِلْ) جاء معه ساحر، وحيثما جاء فعل (ابْعَث) جاء معه سحّار.[1]

فقد جاء في سورة الأعراف بصيغة اسم الفاعل (ساحر)، وجاء في سورة الشعراء بصيغة المبالغة (سحّار)، وهذه الصيغة في سورة الشعراء تتناسب مع المبالغة في قوة التحدي وشدة المواجهة بين فرعون وموسى، وتتناسب مع غضب فرعون البليغ واندفاعه للنَّيل من موسى، فهم أرادوا سحّاراً بليغاً في السحر لا مجرد ساحر. وهذا يتناسب أيضاً مع مقام التأكيد على السحر، فإن السحر تعدد ذكره في سورة الشعراء أكثر مما في سورة الأعراف، فقد ذُكر في سورة الأعراف سبع مرات، وفي سورة الشعراء عشر مرات[2]. بعد هذا نلاحظ التصوير القرآني يصور لنا كيف أغرى فرعون القوم بأن الأرض أرضهم، وموسى يريد أن يخرجهم من أرضهم هذه بسحره؛ إذاً فالأمر أمرهم، والرأي رأيهم، فما كان منهم إلا أن رأوه أنه ساحر، إذاً فليلاقوه بسلاح مثل سلاحه، وليجمعوا له السحرة من كل مكان.

هذا هو الرأي الذي استقر عليه الملأ من قوم فرعون: أن يُمهِل فرعون موسى إلى موعد، وأن يرسل في أنحاء البلاد من يجمع له كبار السحرة؛ ليواجهوا سحر موسى بسحر مثله.

ويطوي السياق القرآني هذا المشهد ليكشف عن مشهد آخر، وهو ما تصوره الآية الكريمة بقوله -تعالى-: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾.

وجاء في سورة الشعراء: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾. قال النيسابوري: «أي جُعْلاً على الغلبة، والتنكير للتعظيم»[3].

السحرة يلتقون بفرعون قبل المعركة، ليأخذوا تعليماته، وليعرضوا بين يديه ما معهم من أسلحة قد أعدوها للقاء هذا الساحر. بعد عرضهم لفرعون ما أعدوا لموسى من سلاح؛ عرضوا على فرعون مطلبا خاصّا بهم، وهو الجزاء الذي سينالونه إذا هم جاءوا له بالنصر المبين.

إنهم محترفون، يحترفون السحر، والأجر هو هدفهم، وخدمة السلطان والطاغوت المتجبر هي وظيفتهم.

نلاحظ المشهد الذي يصوره القرآن، إنه صورة لجماعة مأجورة تَبذلُ جُهدها ومهارتها مقابل أجر، ولا علاقة لها بعقيدة، ولا تهمها قضية. والذي يهمها هو الأجر والمصلحة فقط، وهؤلاء هم الذين يستخدمهم الطغاة دائما

1. ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (1/ 747).
2. ينظر: أسرار البيان في التعبير القرآني (1/ 304).
3. ينظر: تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان (2/ 310).

في كل زمان وفي كل مكان، فكلما انحرفت الأوضاع عن إخلاص العبودية لله؛ احتاج الطواغيت إلى هؤلاء المحترفين، وكافؤوهم على الاحتراف، وتبادلوا وإياهم الصفقة: هم يقرونهم باسم الدين، وهؤلاء يبذلون لهم المال ويمنونهم بالقرب. ومثل هؤلاء الذين أشار إليهم النبيء ﷺ في الحديث من أنه: «يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».[1]

لقد أكد لهم فرعون أنهم مأجورون على حرفتهم، ولم يكتف بذلك، بل وعدهم مع الأجر القربى منه زيادة في الإغراء، وتشجيعا على بذل غاية الجهد. إنها صفقة تستحق العناء، وثروة تستحق أن يُضحى من أجلها، وغاية ليس بالإمكان -العادي- نيلها.

بعد أن اطمأن السحرة على الأجر، واشرأبت أعناقهم إلى القربى من فرعون؛ استعدوا للحلبة، فانتقلوا إلى خارج المدينة، حيث احتشد الناس ليشهدوا هذا اليوم العظيم، وفي ميدان المعركة التقى موسى بالسحرة، وتوجهوا إليه بالتحدي، ثم ما هي إلا كلمات تبادلها كل منهم، أشار إلى ذلك القرآن بقوله -تعالى-: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وفي الميدان خيّر السحرة موسى بين أن يبدأهم أو يبدؤوه، فأجابهم أن يكونوا هم البادئين. ذكر الشيخ المراغي أن في التخيير منهم له دليل على اعتدادهم بسحرهم، وثقتهم بأنفسهم، وعدم المبالاة بعمله، ولولا ذلك لما خيروه؛ إذ المتأخر فى العمل يكون أبصر بما تقتضيه الحال بعد وقوفه على منتهى جهد خصمه[3]. وإجابة موسى عليه السلام أن يكونوا هم البادئين هو من أدب الأنبياء، فلو بدأ موسى قبلهم لخرج عن قواعد أدب الأنبياء، لكنه ردّ إليهم إحسانهم بإحسان، وأعطاهم حقّ المبادرة التي كان له الحق في أخذها لنفسه. ثم من جهة أخرى لو أنه بدأ هو الجولة، وضَربت المعجزة ضربتها، وأوقع بهم الهزيمة قبل أن يُخرجوا ما عندهم- لكان في نصره هذا الذي أحرزه مقال لقائل أن يقول: إنهم لو أظهروا السّحر الذي في أيديهم أوّلا لشلّوا حركة موسى، بل لقضوا عليه وعلى ما أتى به، ولكنه عاجلهم فكانت الضربة له ولم تكن لهم، وهذا قول ربما يقال في مثل هذه الأحوال، ويجد فيه أصحاب الضلال مدخلا. قال -تعالى-: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾، عظيم في مظهره، كبير في تأثيره في أعين الناس.[4]

1. ينظر: صحيح مسلم، باب الحث على المبادرة بالأعمال (1/ 76).
2. سورة الأعراف، الآية: 115، 116.
3. ينظر: تفسير المراغي (3/ 372).
4. ينظر: المصدر نفسه (3/ 373).

يكفي أن يقرر القرآن أنه سحر عظيم لندرك أي سحر كان، لقد سحروا أعين الناس، وأثاروا الرهبة في قلوبهم، وأوجس في نفسه خيفة موسى؛ لنتصور حقيقة ما كان، وهذا التصور هو من بدائع العرض القرآني للقصص، حيث يصورها كأنها واقع منظور، لا حكاية تروى.

ولكن حدثا يقع يفاجئ الجميع يطالع فرعون وملأه، ويطالع السحرة، ويطالع جماهير الناس المحتشدة في الساحة الكبرى التي شهدت ذلك السحر العظيم، يصوره قوله -تعالى-: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾، وإنما أوثر إبهام العصا تهويلا لأمرها، وتفخيما لشأنها، وإيذانا بأنها ليست من جنس العصيّ المعهودة؛ لما سينشأ عنها من عجيب الأثر وغريب الصنع[1].

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «التلقف: لَقْفُ الشَّيْءِ وَتَلَقُّفُهُ - بِالتَّشْدِيدِ - فَهُوَ تَنَاوُلُهُ بِحِذْقٍ وَسُرْعَةٍ. والْإِفْكُ يَكُونُ بِالْقَوْلِ -وَمِنْهُ الْكَذِبُ، وَمَا يُؤَدِّي الْمُرَادَ مِنَ الْكَذِبِ كَالْإِبْهَامِ وَالتَّدْلِيسِ وَالتَّجَوُّزَاتِ وَالْكِنَايَاتِ وَالْمَعَارِيضِ الَّتِي تُوهِمُ السَّامِعَ أَوِ الْقَارِئَ لَهَا مَا يُخَالِفُ الْحَقَّ- وَقَدْ يَكُونُ بِالْفِعْلِ كَعَمَلِ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ»[2].

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾، إنها صورة الحق وهو يواجه الباطل، ينكشف الأمر عن حق وقع، وباطل بطل، ونلاحظ التصوير في التعبير بكلمة (فوقع)، فكأنه وقع على الأرض، كما يقع ضوء الشمس على معالم الكون الأرضي؛ فيبدّد الظلام ويزيل معالمه، أو كما تقع الصواعق على الظالمين فتبيدهم، أو كما تقع الشهب على الشياطين فتحرقهم. وقع، وثبت، واستقرّ، وذهب ما عداه فلم يعد له وجود، وهو صورة: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾. أشار الشيخ ابن عاشور في تفسير هذه الآية إلى جملة من النّكت البلاغيّة، حيث ذكر أنّ جملة (غُلبوا) عُطِفتْ بالفاء لحصول المغلوبية إثر تلقف العصا لإفكهم، و(هنالك) اسم إشارة المكان، أي غلبوا في ذلك المكان، فأفاد بداهة مغلوبيتهم وظهورها لكل حاضر، والانقلاب: مطاوع قَلَبَ، والقلب تغيير الحال وتبدله، والأكثر أن يكون تغييراً من الحال المعتادة إلى حال غريبة، ويطلق الانقلاب شائعاً على الرجوع إلى المكان الذي يخرج منه، ولأن الراجع قد عكس حال خروجه. وانقلب من الأفعال التي تجيء بمعنى (صار)، وهو المراد هنا، أي: صاروا صاغرين. واختيار لفظ (انقلبوا) دون (رَجعُوا) أو (صاروا) لمناسبته للفظ (غُلبوا) في الصيغة، ولما يُشعِر به أصل

1. ينظر: تفسير المراغي (1/ 3260).
2. ينظر: تفسير المنار (9/ 60).

اشتقاقه من الرجوع إلى حال أدون، فكان لفظ (انقلبوا) أدخل في الفصاحة.

والصّغَار: المذلة، وتلك المذلة هي مذلة ظهور عجزهم، ومذلة خيبة رجائهم ما أملوه من الأجر والقرب عند فرعون[1]. علموا أن الموقف ليس موقف الاحتراف والبراعة والتضليل، إنما هو موقف المعجزة والرسالة والاتصال بالقوة القاهرة، إنه نور الحق في القلوب المتهيئة لتلقي النور؛ فهم أعرف الناس بما جاء به موسى، وهم أعلم الناس بحقيقة فنّهم، إنها شهادة أهل الخبرة وأصحابِ الكلمة في هذا الأمر. وليس لأحد قول بعد قولهم، إنه تحول من التحدي إلى التسليم.

تفاجأ فرعون بهذا الإعلان الذي أعلنه من كان يعوّل عليهم لهزيمة خصمه، هكذا انقلب السحرة المأجورون مؤمنين من خيار المؤمنين! على مرأى ومسمع من الجماهير الحاشدة ومن فرعون وملئه، لا يفكرون فيما يعقب جهرهم بالإيمان في وجه الطاغية من عواقب ونتائج، ولا يعنيهم ماذا يفعل أو ماذا يقول! وإن القلب البَشَريّ لعجيب غاية العجب؛ فإن لمسة واحدة من النور تقع في القلب تكفي لأن تقلبه قلبا، وهذا معنى قول النبيء ﷺ: «ليس من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله؛ إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه»[2].

بهذا النور الذي لامس القلوب وآمن على إثره السحرة جُنَّ جنون فرعون، فلجأ إلى التهديد البغيض بالعذاب والنكال، بعد أن اتهم السحرة بالتآمر عليه، إنها الهزيمة النفسية قبل الهزيمة الميدانية: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[3].

نلاحظ المشهد الواقعي، والحماقة الفرعونية التي صرح بها فرعون حين أحس بالخطر على عرشه أو شخصه، إنها كلمة الطغاة المتجبرين، قالها للسحرة متوهما أنه يثنيهم عن إيمانهم الراسخ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إنه يخلق التهمة، ويحكم بالإدانة فيها، ويقدر العقوبة المناسبة لها؛ هددهم بالتقطيع والصلب، اختار لهم قتلة شنعاء ربما يجد فيها بعض الشفاء لما فجعه به هؤلاء

1. ينظر: التحرير والتنوير (9/ 51).
2. ينظر: السنن الكبرى للنسائي (4/ 414).
3. سورة الأعراف، الآيات: 123 - 126.

السحرة، الذين خذلوه فيه، ثم خانوه في متابعتهم لموسى واستسلامهم له.

فالعقوبة في تصور فرعون مناسبة للجريمة؛ لأنه من المعلوم أن تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف لا يقضى على الكائن الحي فورا، بل تظل الحياة به زمنا يعالج فيه آلام الموت وسكراته، وأتبع هذه القتلة الشنيعة بالصّلب، حتى يظل المصلوب قائما على خشبة الصلب زمنا يعالج فيه آلام الموت وسكراته، ويكون عبرة لغيره.

فردوا عليه بكلمة هزت قلبه، وكسرت غروره، وأردته ذليلا يتخبط في ضلاله وطغيانه قالوا: (لا ضير) ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾، يصور القرآن موقفا حاسما في تاريخ البشرية يمثل انتصار العقيدة على الحياة: فرعونُ تسلط على الأجسام، ولكنه عجز عن استذلال القلوب التي لامست النور! قالوا: (لا ضير) في التعذيب، (لا ضير) في التقطيع، (لا ضير) في الصلب، اقض ما أنت قاض! ما أروع الإيمان حين يشرق في الضمائر!

بعد هذه الأحداث المتتالية التي صورها القرآن، يترك لنا فجوة في الوقائع والزمن لا يذكرها في هذه السورة (سورة الشّعراء)، على الرغم من أنها تناولت القصة بصورة تفصيلية لم توجد في غيرها من السور، تلك هي الفترة التي عاشها موسى وبنو إسرائيل بعد المواجهة مع فرعون، انفردت بذكرها سورة الأعراف، والسياق في سورة الشعراء يطويها ليصل إلى النهاية المناسبة لأحداث القصة واتجاهها الأصيل.

يبقى بعد هذه الأحداث التي ساقتها الآيات السابقة وحي الله ﷻ لنبيه موسى بأن يسري بعباده ليلا، ويرحل بهم بعيداً عن سلطان فرعون، وما إن تم هذا الأمر حتى علم فرعون بذلك، فجمع جنوده وأعوانه، وخرج يتعقب موسى ومن معه؛ ليقضي عليه وعلى دعوته، إلى أن وصلوا إلى ساحل البحر، فكان البحر من أمامهم، وفرعونُ وجنوده مِن خلفهم، وفي هذه اللحظة يأتي الوحي الإلهي لنبي الله موسى بضرب البحر فانفلق، وتكفي الآيات لتصوير هذه المشهد بقول الله -تعالى-: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

1. سورة الشعراء، الآيات 63 - 68.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع أحداث هذه القصة العجيبة التي كان الصراع فيها بين الحق والباطل حاميا ودواميا، صوّره القرآن في مشهد بديع كأنه واقع منظور، لا مجرد حكاية تروى- يتضح لنا من خلال هذه المعايشة لهذه الأحداث أن فرعون مُعتدٍ ومُتجبر؛ الشؤون تمضي بأوامره، والأمور تقضى بإرادته، فقد كان يذل بني إسرائيل ويستعبدهم، ويخضعهم لشريعته، وأن بني إسرائيل في قبضة حديدية فرعونية، لا تعرف الرحمة ولا الشفقة، لا تعرف إلا الإذلال؛ يذبح الأبناء، ويستحيي النساء!

كما يتضح من خلال التعبير القرآني أن فرعون كان له نوعان من السحرة: سحرة خاصين بالقصر، وهم الذين يعتمد عليهم ويقدمون له الحماية التامة، وعموم السحرة في مصر، وهؤلاء ليس لهم علاقة بفرعون ولا بقصره، يتضح ذلك من خلال لفظَيْ(أَرْسِلْ) و(ابْعَثْ)؛ فالإرسال لخصوص السحرة، والبعث لعموم السحرة. أيضا يتأكد هذا المعنى في حديث السحرة لفرعون في موضوع الأجرة، في الموضعين من السورتين، فخصوص السحرة أكدوا على طلب الأجرة باستعمالهم (إنّ) التي تفيد التوكيد: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، وكأنه أمر، على حين أن عموم السحرة حين طلبوا الأجر استعملوا (أإنّ) الاستفهامية، بمعنى: هل لنا من أجر؟ وكأنهم يستدِرُّون عطفه عليهم، فأجابهم بنعم، ولم يقتصر الأمر على الوعد بالأجر، بل تجاوزه إلى مكافأة أخرى هي القرب من فرعون، لتشمل المكافأة المادية والمعنوية؛ حتى يبذلوا أقصى ما في وسعهم.

نلاحظ في أوجه التشابه والاختلاف بين النصوص في الموطنين أن القصة في سورة الشعراء تتسم بسمتين بارزتين هما: التفصيل في سرد الأحداث، وقوّةُ المواجهة والتحدي. وقد بُنيت القصة على هذين الركنين، وجاءت كل ألفاظها وعباراتها لتحقيق هذه الأمرين. بينما لا نلاحظ ذلك في سورة الأعراف.

أضف إلى ذلك أن الألفاظ القرآنية وإن تشابهت معانيها فإنّ بينها شيئاً من الاختلاف، فكل لفظ يستقل بمشهد معين.

كما يتضح أيضا أنه على الرغم من شدة طغيان فرعون فقد كان في بعض تصرفه هذا أقل طغيانا من كثير من الطواغيت في القرن العشرين في مواجهة دعوة الدعاة إلى ربوبية رب العالمين، وما حدث في الصين وفي الشيشان خير دليل على ذلك.

كما يتبين أيضا أن فرعون تدمر نفسيا قبل أن يتدمر ميدانيا، وذلك حين تخلى السحرة عنه، وهو الذي عول عليهم لنصرته وتثبيتِ أركان دولته، تَخلّوا عنه وهو في أمس الحاجة إليهم، وأعلنوا في ساحة المواجهة أنهم ءامنوا برب موسى، على مرأى ومسمع من الناس، مما زاد الأمر تعقيدا ترتب عليه تخبط واضح في اتخاذ القرار لدى فرعون، وهذا هو شأن الهزيمة النفسية دائما.

تمثل هذه القصة رسالة واضحة إلى كل العتاة المتجبرين، والطغاة المتكبرين، ممن شابهوا فرعون في طغيانه، فادّعوا الملك وخرجوا عن حد العبودية، متناسين فقرهم وافتقارهم، ولو عرفوا أنفسهم حق المعرفة لعلموا أنهم مملوكون ممتحنون في صورة ملوك متصرفين، كما أرادهم الله بقوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:14]. رسالة واضحة تصور النهاية المؤلمة، والهزيمة المنكرة، والمذلة المخزية. إنها رسالة توضح نهاية الاستبداد، والطغيان لكل الطواغيت الذين يمارسون الإرهاب على شعوبهم، ويجبرون الناس على الولاء لهم، ويعولون في ذلك على جنودهم واستخباراتهم العسكرية.

هذه القصة تعكس الصورة الواقعية لحال الأمة الإسلامية، وما يعانيه المسلمون مع حكامهم المستبدين الحاملين لشعار (أحكمكم أو أقتلكم).

في هذا القصة حث للشعوب المظلومة على الصبر، وعدم اليأس من رحمة الله؛ فالظلم مهما طال لابد أن يأتي يوم تكون فيه نهايته.

هي عبرة لكل من اعتبر؛ ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

وأكتفي بهذا القدر، والله أسأل التوفيق والسداد. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، بالرسم العثماني، مصحف المدينة النبوية.

1. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع/ الجمهورية التونسية.
2. التعبير لقرآني، فاضل صالح السامرائي، دار الفجر/ بغداد، الطبعة الأولى: 1429هـ - 2008م.
3. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس/ بيروت، الطبعة الثالثة: 1433هـ - 2012م.
4. تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، تخريج: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعةالأولى: 1420هـ - 1999م.
5. التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى: 1413هـ - 2000م.
6. تفسير المراغى، أحمد مصطفى المراغي، تخريج: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية/ بيروت،الطبعة الأولى: 1423هـ - 2002م.
7. الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن السمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى: 1414هـ - 1994م.
8. دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تخريج: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الثانية، 1418هـ - 1998م.
9. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية/ بيروت،الطبعة الأولى: 1411هـ - 1991م.
10. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث/ القاهرة، 1407 – 1987م.
11. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر/ عمان.
12. صحيح مسلم، دار الجيل/ بيروت.
13. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، حسن بن محمد النيسابوري، دار الكتب العلمية/ بيروت.
14. لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث/ القاهرة.
15. لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار عمار/ عمان، الطبعة: 1435هـ - 2014م.

16. مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم/ دمشق.
17. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل/ بيروت، الطبعة: 1420هـ - 1999م.
18. ملاك التأويل القاطع بذي الإلحاد والتعطيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي/ تونس، الطبعة الثالثة: 2011م.
19. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، جمع وتخريج: علي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير/ دمشق.

أبحاث العدد

ت	عنوان البحث	الباحث	الصّفحة
1	قواعد المقاصد عند ابن رشد من خلال كتابه (بداية المجتهد)	د. خالد سلامة الغرياني	4
2	تنوّع الألفاظ ودلالاتها في قصّة موسى وفرعون .. سورتا الأعراف والشّعراء أنموذجاً	د. محمد حسين الشّريف	45
3	اختلاف الأجوبة في الحديث النّبويّ	د. أحمد عبد السّلام بشيش	68
4	النّسخ في الشّريعة الإسلاميّة وبها للشّيخ الأصوليّ عمران بن عليّ العربيّ (1354: 1438هـ)	د. هشام بن عمران العربي	82